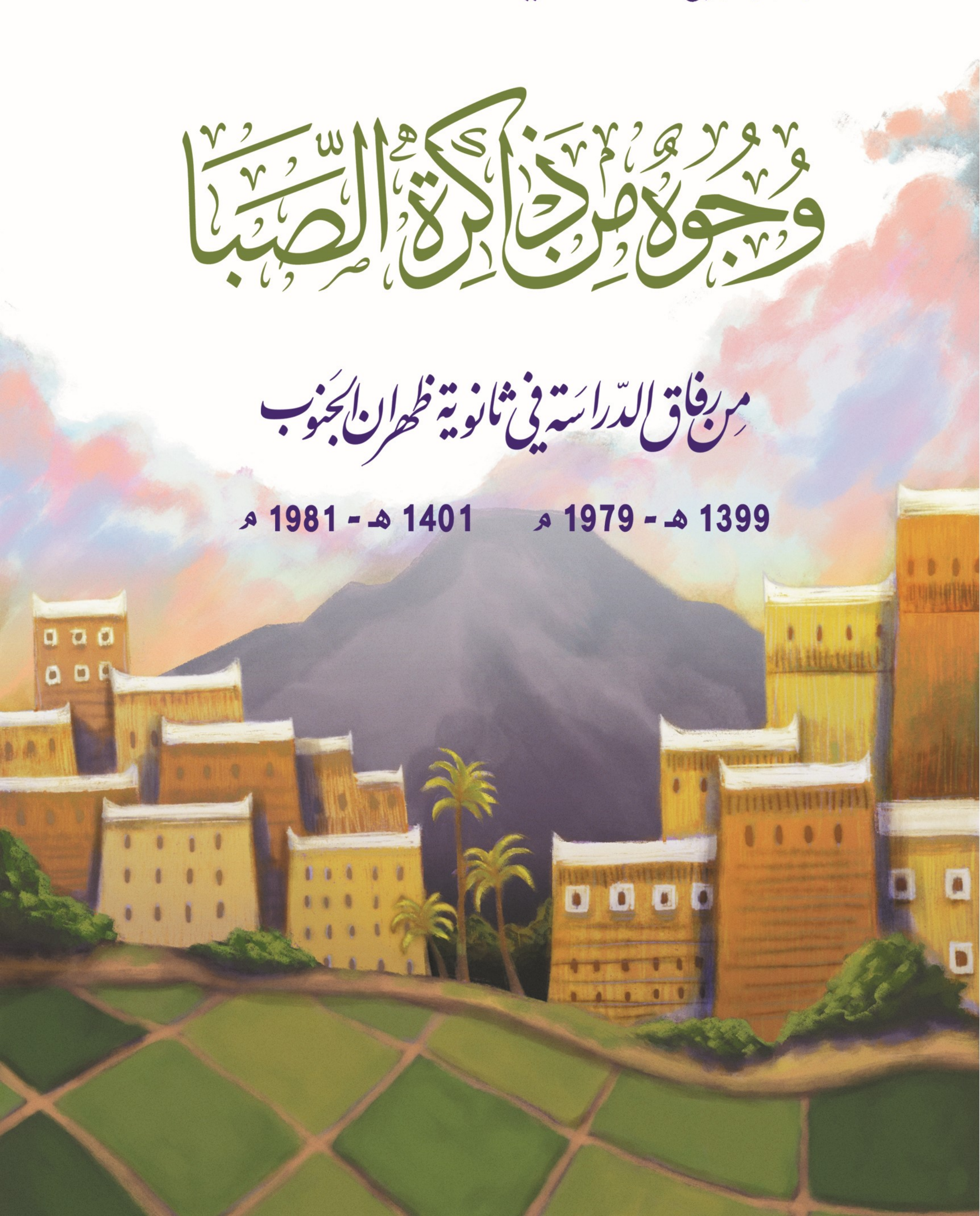
أ.د. عبدالرحمن بن أحمد الجرعي

وجوه من ذاكرة الصبا

من رفاق الدراسة في ثانوية ظهران الجنوب

1399 هـ - 1979 م   1401 هـ - 1981 م



وجوهٌ من ذاكرة الصِّبا

ح عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الجرعي عسيري ، ١٤٤٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عسيري، عبد الرحمن بن أحمد بن محمد

وجوهٌ من ذاكرة الصبا، عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الجرعي

عسيري، ط١-، أبها، ١٤٤٥هـ

١٥٢ ص ١٤×٢١ سم

ردمك: ٨-٨٥٤٦-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

رقم الإيداع : ١٤٤٥/٩٤٩١

ردمك: ٨-٨٥٤٦-٠٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م

تصميم الغلاف

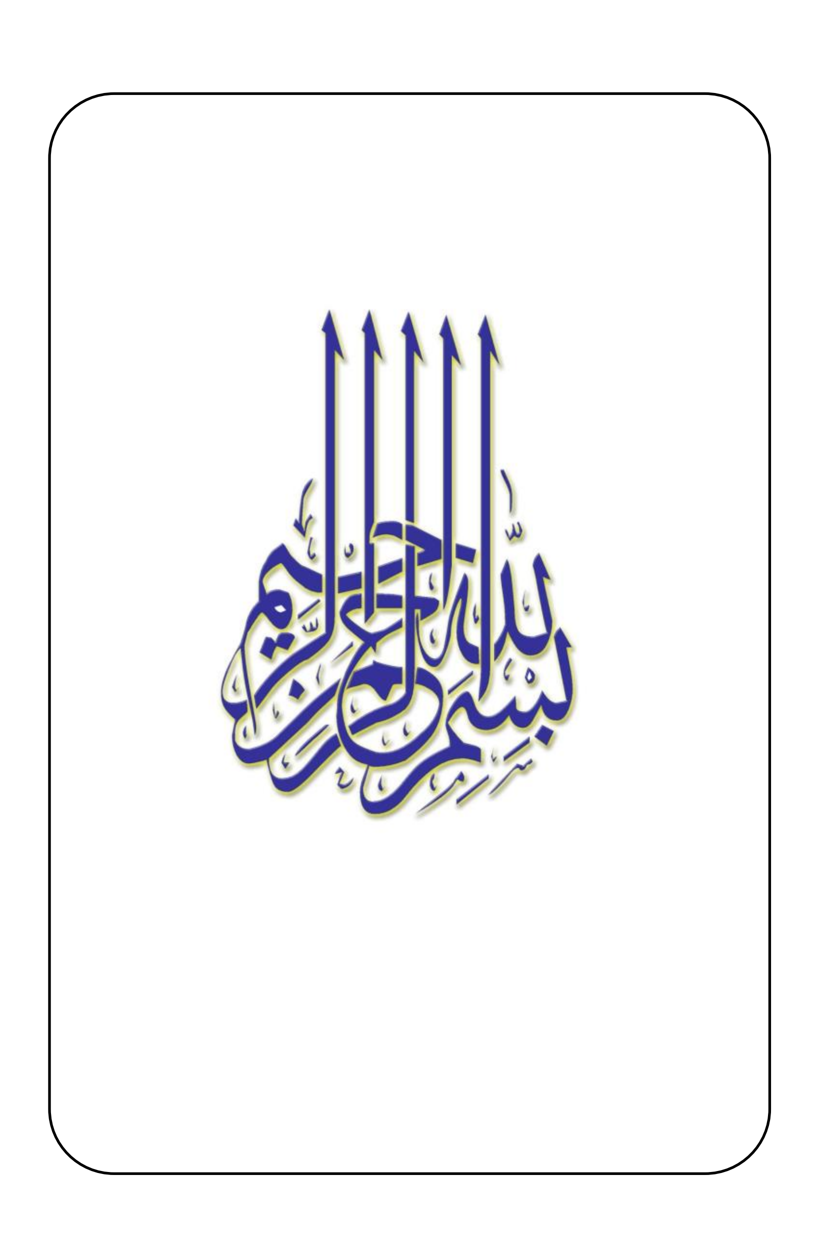
الرباب الجــرعي

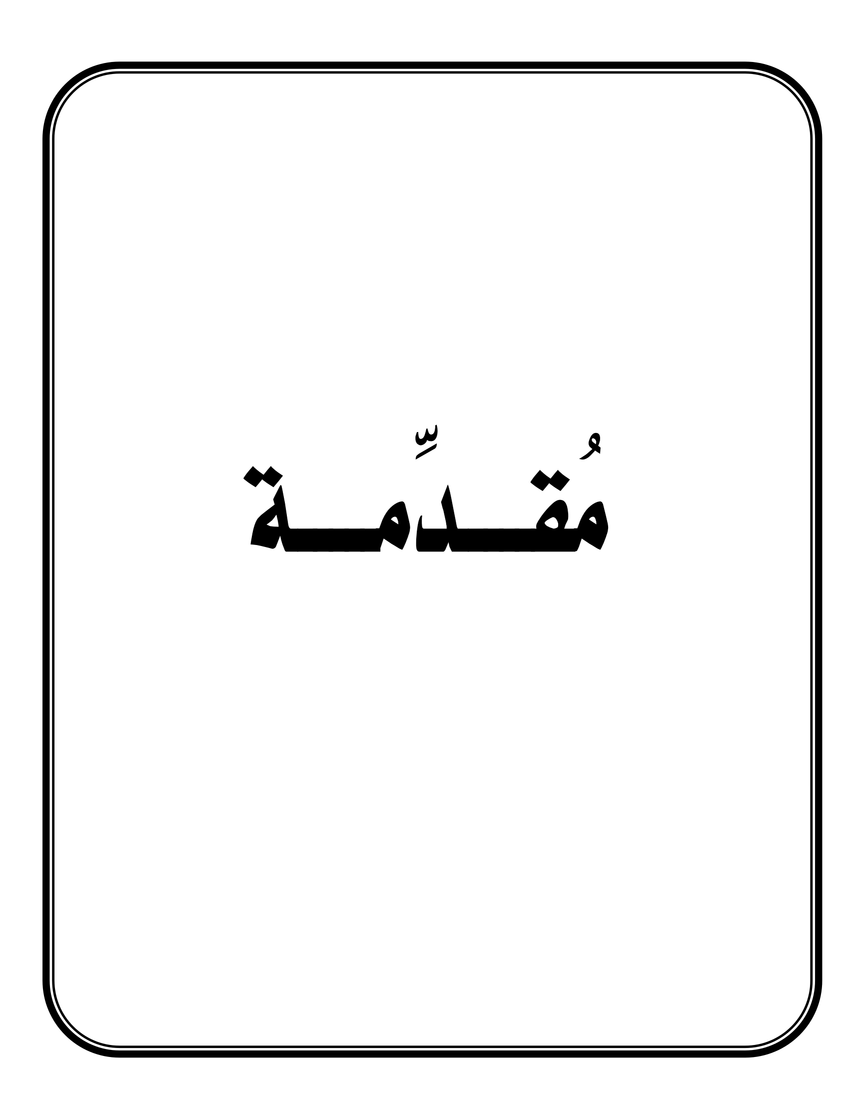
عبد الرحمن بن أحمد بن محمد الجرعي عسيري

وجوهٌ من ذاكرة الصِّبا

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ/٢٠٢٣م


بسم الله الرحمن الرحيم



مُقـــدِّمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فهذه تراجم موجزة لبعض زملائي في المرحلة الثانوية بمدينة ظهران الجنوب، حيث قضينا في هذه الثانوية أيامًا جميلة، ولنا فيها ذكرياتٌ غالية.

وقد كانت دفعتنا الأولى في ثانوية ظهران الجنوب، خلال الفترة من عام ١٣٩٩هـ-١٤٠١هـ.

وأتذكر جيدًا- قبل فتح هذه الثانوية- أن كثيرًا من الأُسر في ظهران الجنوب قد أهمَّهم أمر أولادهم الذين حصلوا على شهادة المتوسطة ولا يعلمون كيف يواصل أبناؤهم الدراسة؟

ومن تلك الأُسر: أُسرتنا، حين بقي الوالد والوالدة- رحمها الله- في حَيرة؛ بين الانتقال لأبها بالأُسرة؛ من أجل دراستي وهذا أمرٌ صعب، أو إرسالي بمفردي لأبها وذلك أمرٌ

أصعب، وإن كان قد تناهى إلى سمعي أن الوالد- رحمه الله- كان يرتِّب لدراستي في المعهد العلمي في أبها، مع رفض الوالدة التام لهذه الفكرة؛ نظرًا لصغر سنّي، وحداثة تجربتي في الحياة.

ولكن الله يسَّر، وفرَّج تلك الغُمَّة بفضله ومِنَّته، ثم بجهود المخلصين من رجال التعليم في ظهران الجنوب وفي غيرها، وعلى رأسهم أُستاذنا: مبارك بن حسن جواح الوادعي (وكيل المدرسة)، وأُستاذنا: حسن بن دليم الوادعي (مدير المدرسة)، وغيرهم من الفُضلاء.

فكان أن افتتحت الوزارة الثانوية الأولى في ظهران الجنوب عام ١٣٩٩هـ، وكُنا- زملائي وأنا- نمثِّل الدفعة الأولى في هذه الثانوية.

ونظرًا لضيق الوقت قبل بدء الدراسة فقد تم على عجلةٍ بناء غرفتين في فناء المدرسة المتوسطة بظهران، وأمضينا الأيام الأولى للدراسة في الصف الأول الثانوي على الكراسي التي وُضعت في ممرات الفصول، وفي صالة المناسبات بالمدرسة المتوسطة؛ وذلك لعدم توفُّر الفصول الدراسية.

ثم اكتمل بعد ذلك بناء بقيّة الفصول الستة الثانوية على النحو الآتي:

الأول الثانوي: فصلان.

الثاني الثانوي: فصل للقسم العلمي وآخر للأدبي.

الثالث الثانوي: فصل للقسم العلمي وآخر للأدبي.

وكان العدد الإجمالي للدفعة الأولى: ٣٣ طالبًا تقريبًا، منهم ٢٠ طالبًا في القسم الأدبي، و١٣ طالباً في القسم العلمي- تقريبًا-.

وقد تولى إدارة المدرسة الثانوية إبان دراستنا كلٌّ من:

١- الأستاذ: حسن بن دليم الوادعي- رحمه الله-.

٢- مبارك بن حسن جواح الوادعي- رحمه الله-.

وقد درَّسنا في المرحلة الثانوية عددٌ من الأساتذة الفُضلاء، أذكر منهم:

- الأستاذ: زكريا (المصري)، مُدرِّس اللغة العربية.

- الأستاذ: علي حسين (المصري)، مُدرِّس اللغة الإنجليزية.

- الأستاذ: علي جمال الدين (المصري)، مُدرِّس الاجتماعيات.

- الأستاذ: محمود الجمل (المصري)، مُدرِّس اللغة الإنجليزية.

- الأستاذ: عبدالرحيم عثمان (السوداني)، مُدرِّس الرياضيات.

وفي المرحلة المتوسطة درَّسنا أساتذةٌ فُضلاء، منهم:

- الشيخ: أحمد بن محمد الجرعي - الوالد رحمه الله-، مُدرِّس مواد الدين.

- الأستاذ: حسن بن دليم - رحمه الله-، مُدرِّس اللغة العربية.

- الأستاذ: صالح بن حسن جواح، مُدرِّس مواد الدين.

- الأستاذ: محمد العقلة، مُدرِّس الرياضيات.

- الأستاذ حسين بن حسين بن حسن آل زاهر.

وفي المرحلة الابتدائية درَّسنا عـددٌ مـن الأسـاتذة الكـرام، أذكر منهم:

١- الأستاذ: علي بن سعدين.

٢- الأستاذ: صالح قهمان.

٣- الأستاذ: حمّود بن فرحان.

٤- الأستاذ: سالم أبو مسمار.

٥- الأستاذ: علي معيض القحطاني- رحمه الله-.

٦- الأستاذ محمد حسين ظبنان.

وفي هـذا المؤلَّـف ذكـرتُ سِـيَرًا مـوجزةً للـزملاء الكـرام الـذين كـانوا معنـا في الدفعـة الأولى ممـن تواصـلتُ معهـم باللقاءات المباشرة أو الهاتفية.

وكان لزميلنا الكريم/ العميد: علي بـن عـوض آل مريّـع شرف السَّبق بـدعوة هـذه الكوكبـة المباركـة مـن الـزملاء للّقـاء عـدّة مـرّات؛ إدامـةً للتواصـل الجميـل، وكـان الـزملاء الـذين ترجمـتُ لهـم في هـذا الكتـاب خـير مـن يُلبِّـي داعـي المعـروف، واعتذر بعض زملائنا عن التواصل لظروفٍ تخصُّهم.

والتراجم موجزة، ومُقتضبة، ولا تـوفي الـزملاء الأعـزاء حقَّهم في التنويـه بـما هـم عليـه مـن الفضـائل والمناقـب، ولكـن (حسبُك من القِلادة ما أحاطَ بـالعُنق) كـما قيـل، ولعـل في هـذه الكلمات تنبيهٌ على ما وراءها من الصفات، وأعتذر لمـن ترجمـت له هنا إذا وردت بعض المداعبات أثنـاء الترجمـة، فـإنما أوردتهـا لطرد الملل عن القارئ، ولعـل القـارئ يُـدرك أنني أكتـبُ هـذه السِّيَر بعد مرور أربعة عقود، وقـد ذهبـت الصَّـبابة، وحصـلت الإنابة.

أسـأل المـولى الكـريم أن يُمتِّـع الجميـع بـوافر الصـحَّة والعافية، وأن يمدّ للجميع في أوقاتهم وأعمارهم وأعمالهـم، إنـه على كل شيءٍ قدير.

كتبه:

أ.د عبدالرحمن بن أحمد الجرعي

algaree@gmail.com

غرة جمادى الأولى ١٤٤٥هـ

١

المُديـــــر






المدير: علي مريّع

وقـور في زمـن الطـيش، صـاحب هـدوء ظـاهر، وقلـب نابض بالحب للجميع، وفيٌّ لرفاق الصبا، قـرَّر أن يجمـع زمـلاء الدراسة بعد (٤٢) عامًا من تفرق الجميع وتوزعهم عـلى رقعـة الـوطن الغـالي في لقـاءٍ دوريّ، وتلـك مهمـة شـاقةٌ ونبيلـة، مـن شخص أكثر نبلاً، وكان الوصـول لعنـاوينهم وأرقـام هـواتفهم أمرًا شاقًّا، ولكن استجابة الرفاق كانت رائعـة، وتحقـق المأمول بتجدد اللقاء برفاق الصِّبا.

عرفت عليًّا مُنذ قَدِم إلى ظهران الجنوب في الصف الأول الثانوي، رأيته شابًّا ممشـوق القامـة، هـادئ الطبـاع، لديـه قـدرة على استيعاب الجميع، كان يحتل ركنًا من الفصـل لا يُزاحمـه فيـه أحد، رأيناه كالأخ الأكبر لجميع من يأتي من جهة (الحرجـة) أو مـا يقاربهـا. وهـو مـن الشخصـيات التـي لا تُنسـى؛ كرمًـا،

ومروءة، وطيبة نفس، ولا أتذكرُ أني سـمعت منه كلمـة عـوراء أو لفظة نابية، على طول ما صـحبته، فطـنٌ بِمَـآلات الأمـور، لا تخدعه الزيوف ولا الغبار عن رؤية الحقائق.

يعرض رأيه ولا يفرضه، حكيمٌ فـيما يفعـل ويـذر. ينسى مصلحته حين يتعامـل مـع الآخـرين، ويختص غـيره بالمصـالح دون نفسه، فلا عجبَ أن تُحبَّه القلوب.



٢

العُمدة







عوض خليل

لا أدري متى عرفته أول مرة، وهل كان ذلك في المرحلة المتوسطة أم قبلها؟ الشيء المؤكَّد لدي أنه قد بدأ يسطع نجمه بيننا في المرحلة الثانوية، كان بمثابة (العمدة) بمواهب فطرية، تجعله في قمرة القيادة، حيثُ يكون فهو مهيب الجانب، له سطوة غامضة، لما أوتي من نفاذ إلى خبايا النفوس، وجرأةٍ، وصراحةٍ، إلى الغاية، وكثيرًا ما كان لسانَ زملائه الناطق في مطالبهم المشروعة، وغيرها! تقلَّدَ كثيرًا من المسؤوليات العائلية وهو في مقتبل العمر، وكان يحظى بشعبية جارفة لدى الأساتذة، وقليلاً ما كان يستغل هذه المكانة لمصالح شخصية.

وهو من أهل المروءات الذين لا يتركون جميلاً إلا شاركوا فيه، ناصحٌ لمحبيه، وقاصدي فضله؛ يحثنا حين نقصّر في عيادة مريض أو مساعدة محتاج؛ في زمنٍ زهد كثير من الناس في الشيم والأصالة.

كنـا نجتمـع في بيتـه أيـام الامتحانـات مـن أجـل التركيـز (البريء) على أهم النقاط التي يتضـمنها المنهج، ولم أنس أول كأس شاي شربته لديه (بنكهة الميرمية) التي لم أعرفهـا إلا تلـك الساعة، وقد ذكرتُ شيئًا من تفصيل تلك الجلسات في كتـابي (شذرات سِيْرِية).

يا لها من ذكريات جميلة، ويا لهفي على زمان جميل مضى. بحلو الذكريات، ولم يبق هناك لذة تعدل تذكر أيام الصبا:

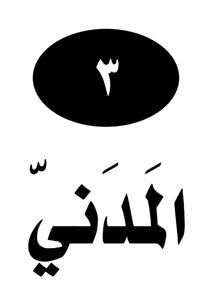
وَكــانَ بِهـا البَشــامُ مَـراحَ أُنــسٍ

فَـماذا بَعــدَنا فَعَــلَ البَشــامُ

وَيــا ظِــلَّ الشَــبابِ وَكُنــتَ تَنــدى

عَــلى أَفيــاءِ سَرحَتِــكَ السَّــلامُ[1]

(١) البيتان لابن خفاجة الأندلسي.



٣

المَدَنيّ



أحمد أبو عامر

حـين التحقنـا بالمرحلـة المتوسـطة في ظهـران الجنـوب لاحظت قدوم فتى نحيل، غاية في التهـذيب، قسماته تنبئ أنـه قد خرج من بيت يربِّي على الفضيلة والدين والخلـق، قـدم إلينا من وادي (الغيـل) الـذي تصـورته- أول مـا سـمعت بـه- نهرًا يملأ الوادي، ولعله كان دون كذلك، ولكن الأذن تعشـق قبـل العـين أحيانًـا، كـما يقـول بشـار بـن بـرد. ابتغيـت كـل وسـيلة لأتعرف على ذلك الفتى، حتى وصلتُ حبالي بحبالـه، فكـان لي كالتوأم للـروح، وكنـت أمضي أغلـب الوقـت بصـحبته، فكـل غريبٍ للغريب نسيبُ، فقد كنت أشكو قلة الأصـحاب الـذين أبادلهم البوح بمكنونات القلب، وكنتُ منطويًا على الـنفس إلا من رفقاء الدرب والمدرسة، وقـد وجـدت لديـه مـن الأخـلاق وطهر السلوك ما كنت أطمح إليه، وقربني منه أكثر أنه في تلـك الأخـلاق والقـيم يصـدر عـن طبـعٍ واعتيـادٍ، دون تصـنُّعٍ أو تكلُّف، وخير الأخلاق ما كان كذلك، هذا وصفه (كما بقـي في

ذاكرتي) رغم طغيان النزق، وشطحات الصبا عند كثير من الأقران، وقد أعانني على استمرار هذه الصحبة محبة أبي- رحمه الله- له، وثناؤه العطر عليه.

ما أجمل صداقات الصبا، وما أصدقها، والعجيب أنها تبقى وشمًا في الذاكرة، لا يُنسى ولا يَبلى.

وتفرَّقت بنا السبل بعد إتمام المرحلة الثانوية، فذهبت إلى أبها مُلتحِقًا بكليَّة الشريعة، وتنقَّل هو في دراسته بعد التخرُّج بطريقة (دراماتيكية)، كان فيها موفقًا ومسددًا، ولعلها دعوة صالحة من والد، أو عمل متقبل، وقد تخرج وعمل، وكان موضع تقديرٍ في كل مكان يعمل به، ووصل لأعلى الرتب في مجاله (رتبة لواء).

وقد زرته في جدة (وهو على رأس العمل) وكان ذلك بعد أعوامٍ طوال من الفراق، فوجدته كما عهدته هادئًا، جميلاً، قريبًا من القلب.

وفي السنين الأخيرة اختار سُكنى طيبة (المدينة المنورة) على ساكنها أطيب الصلاة وأزكى السلام، وخيرًا فعل، فقد وجدَ فيها نفسَه الطيِّبة، وَوَردَ حِياض العلم الشرعي، وأتى إليه من أبوابه لا من نوافذه، فحَصّل في مدة قريبة ما عَسُرَ على الكثير، وحين سمعت بانتقاله للمدينة تذكرت ما قاله أحمد شوقي في مسرحيته (مجنون ليلى) التي كنت مولعًا بها مُنذ الصِّغر.

أَمِــــن يثـــربَ أنـــتَ آتٍ، أَجَــــلْ

مــــن البلـــد القُــــدُسِ الطيِّـــب

أيـــا ابـــنَ ذَرِيـــح لَقِينـــا الغـــمامَ

وطافـــتْ بنـــا نَفَحـــاتُ النبـــي

وكـان مـن شـأن العلـماء الصـالحين تمنـي سُـكنى المدينـة، والإقامة فيها؛ لفضلها، يقول أحدهم وقد ضُيّق عليه عيشه في بلده:

إلهــــي نجِّنــــي مـــــن كـــل ضــــيق

فأنــــت إلـهَنــــا مــــولى الجميــــعِ

وَهَــــــب لي في المدينـــــة مُســــــتَقرًّا

ورِزقًـــــا، ثــــم دَفنًـــــا بـــــالبقيع

وقد كان لهذا العالِم ما تمناه، فقد رُزِقَ سُكنى المدينة، ورِزْقَها، والدَّفنَ ببقيعها.

٤

حامي العرين





غـازي عَرَوِي

صاحبنا غازي: عاشقٌ للجمال بمعناه الحقيقي الذي قال عنه بيجوفيتش ذات يوم: "نقيض الجمال ليس القبح، وإنما الزيف"، وهذا عندي مفتاح شخصيته؛ غازي عاشق للجمال في كل شيء، وللوضوح، والصدق، وربما ضاق ذرعًا، وضاق به، من يعشق الألوان الرمادية.

تعرفتُ إليه من قرب على حسب ما تختزنه الذاكرة أيام المرحلة المتوسطة، ونجمه قد بدأ يسطع مع إنشاء نادي العرين بظهران الجنوب، وكانت حراسة المرمى عشقه الثاني بعد نادي الهلال، فكان حارس النادي الأول، وكان له أوليات وأسبقيات، هو والرعيل الرياضي الأول، ليتها تسجل، وتحفظ في كتاب، وإليه ينسب السبق في نشر الثقافة الرياضية بين زملائه في المدرسة، فكانت جدران الفصل تتزين بالمعلومات التي يجلبها، وكذا صور اللاعبين محليًّا وعالميًّا، ولا أدري ما

الـذي جعـل صـورة غـازي تـرتبط عنـدي منـذ عرفتـه بصـورة غـازي القصـيبي، الـوزير، المثقـف، الشـاعر، وقـد كنـت متابعًـا لإنتاجـه عـبر الصـحف التـي كانـت تصـل لي بشكلٍ دائـم عـن طريق الشيخ عبدالله آل زاهر قاضي المحكمة بظهران الجنـوب، وهـو قريبنـا وجارنـا، أمـا إنتاجـه في المجـلات لاحقًـا- أعنـي القصيبي- فكنت أجدها في مكتبـة عبـدالله البرنـاوي، وخاصـة مجـلات: اليمامـة، واقـرأ، والـوطن الريـاضي، وقـد كنـت مولعًـا بإنتاج القصيبي شعرًا ونثرًا وحفظت له الكثير من أيـام الصبـا، وما زلـت أعتقـد أنـه الشـاعر السـعودي الأول، ولـه الريـادة في عـالم الروايـة المحليـة، إلا أن مسـتواه الشـعري فـوق إنتاجـه الروائي، كما يبدو لي.

في المرحلـة الثانويـة اتجـه صـاحبنا غـازي للقسـم العلمـي وتخرج فيه، ثم اتجه لجامعة الملك سـعود، ومنهـا تخـرج، وعمـل في وزارة الصـحة مـديرًا لمستشـفى ظهـران الجنـوب وغـيره، وكان- وما زال- محمود السـيرة، نظيـف اليـد، يقـف مـع الحـق

حيث كان، بلا مجاملة، ولا مواربة، يشهد له بذلك الجميع، وبذلك كان يرضي ضميره التقي، وليست التقوى كلماتٍ تُلاكُ، ثم تُلفَظ عند أقرب مطمع. ولي محبَّةٌ جارفةٌ لهذا الطراز من الناس، وإن كان عزيزًا نادرًا، ولا لوم عليَّ في محبة أبي فهد.

٥

زارع الورد





سعيد محمد أبو سبل

عرفتـه وأنـا في المرحلـة الابتدائيـة، **"والعـيش غـض والزمان غلام"**، كما يقول أبو تمام[1].

كـان والـده، أستاذنا، محمـد بـن حسـن أبـو سـبل، مـدير المدرستين: الابتدائية والمتوسطة، وكـان أستاذنا قـد كلّـم أبي؛ ليأذن لي بالمذاكرة مع سعيد، وكـان هـذا نصف الحقيقـة، أما الحقيقة كاملة الدسم، فهي أننا كنا- سعيد وأنا- نريد أن نهرب من جِدِّ المذاكرة، ونلعب ونلهو، شأن الصغار، وقد اكتشفت في هذا البيت (الأرستقراطي الجميل) نمطًا جديدًا، لم أعرفه من قبل، تُحَفًا، وكُتبًا، وقصصًا، وروايات، ومجلات ملونة تخلب الألباب، فوقعت أسيرَ هذه الكنوز، وخاصة المجلات والقصص الملونة، فلم أعهد في بيتنا إلا الكتب الصفراء،

(١) وأول البيت: ولقد أراك، فهل أراك بغبطةٍ.

والمجلدات الكبار، وفي هذا البيت الجميل، عرفت مجلات: العربي الكويتية، وقافلة الزيت وغيرها كثير، وكانت من بواكير ما قرأت، إذ كان أستاذنا محمد أبو سبل من القلائل المهتمين بالثقافة والمعرفة في ظهران الجنوب، وعرفت بعض صداقاته ومعارفه للأوساط الأدبية والاجتماعية في أبها لاحقًا.

وعلى ضفاف وادي العرين الجميل كان يقع بيت سعيد حيث كان غيل الماء من بقايا السيل يستمر شهورًا، ويخرج النساء؛ ليغسلن الملابس فيه، وحين يحين موعد السيل، ترقص الأشجار ابتهاجًا بقدوم هذا الضيف وخاصة في الصيف، أما المطر فلا أجمل من منظره في ظهران الجنوب، وهو ينهمر علينا في فناء الدور، تسبقه تراحيب البروق وقعقعة الرعود، وما زلت أتذكره حين أطالع معزوفة السياب:

تثــاءب المســاء، والغيــومُ مــا تــزالْ

تســحُّ مــا تســحّ مــن دموعهــا الثِقــالْ

أتعلمـــين أيَّ حُـــزنٍ يبعـــث المطـــرْ؟

وكيـــف تنشـــج المزاريـــب إذا انهمـــرْ؟

لنـدع المطـر، ولنعـد إلى سـعيد؛ كنـت أغبطـه لتفوقـه في الرياضيات التي لم يخفق لها قلبي يومًا من الدهر. وبعد الانتهاء مـن المرحلـة الثانويـة يمـم وجهـه تلقـاء جامعـة الملـك سـعود لإكمال دراسـته، والتحـق بكليـة الزراعـة التـي كـان لـه فيهـا ذكريـات ومغـامرات مـع بعـض رفقـاء الـدرب في السـكن الجـامعي، ومـع الأسـاتذة، وحبيبنـا سـعيد حينـذاك يعشـق المغامرة، وارتياد المجهول.

وقد تولى سـعيد عـدة مهـام إداريـة قياديـة في مجـال عملـه (وزارة الزراعة).

وشخصية سعيد شخصيةٌ مُتصالحةٌ مع الجميع، فقد أوتي الخلق الكريم، وهـو صـاحب علاقـات اجتماعيـة واسـعة، ولـه ذكاء فطري يقرأ بـه أفكـار مـن يحدثـه، كما أنـه مُتحـدِّثٌ بـارع؛ ينصف عند الحديث من نفسه، وذلك شأن الواثـق مـن ملكاتـه وقدراته.

تعرَّض لوَعكة صحيَّةٍ بل لِوَعكاتٍ، نجا منها بفضل الله وحده، ورضي الله عن (محمد والعنود) فقد تقاسما مع أبيهما مادة الحياة، وهكذا فليكن البِرّ والإيثار. وابتلي بفقد راحلين غاليين من فلذات الأكباد، فصبر واحتسب وظفر - إن شاء الله -.

أغبط سعيدًا على رباطة جأشه، وصمود نفسه أمام عاديات الدهر، رغم تواليها، فكأنه يتمثل قول الشاعر:

ومــن كَمُلــتْ فيــه النُّهــى لا يسرُّــهُ

نعــــيمٌ، ولا يَرْتــــاعُ للحـــــدثانِ

٦

الهادئ النَّابه







طاهر إبراهيم رشَيْد

عرفت طاهرًا، منذ الوهلة الأولى، بهدوئه اللافت، هدوء نعم، ولكنه هدوء النبهاء، الـذين يجيلـون التفكـير قبـل النطـق، وعرفته كذلك بالذكاء المتَّقِد، يمشي على مهل، ويجيء أولاً:

مـــــن لي بمثـــــل ســــيرك المــــدلل

تمشيـــــ رويـــــدًا، وتجـــــي في الأول

الهـدوء في الطبـاع نعمـة كـبرى، لا يعرفهـا أصـحاب الضجيج والزمن الصاخب. وطاهر هادئ الطبع منـذ الصـغر، لم أسمعه يومًا يرفع صوته، ولم أره يبالغ في الاشـتغال باللعـب؛ وإن كـان محبًّـا للرياضـة والرياضـيين، لكـن دون تعصـب ولا تشنج، وكان نعم الجار، فقد جاورناه في حي الرحيـب بظهـران الجنـوب، ولم تكـن تفصـلنا عـن بيتـه إلا مسـافة يسـيرة، وكنـا نشـاهد المباريـات الرياضـية لديـه، نحـن وبقيـة الـزملاء، وكـان يستقبلنا بكل كرم في بيته الرحيب. عرفته محافظًـا عـلى صـلاته،

يغلب عليه الترتيب، والتخطيط المسبق لأمور الحياة، ولذلك مرّت حياته بلا طفرات ولا مفاجآت في كثيرٍ من الأحيان، كان متفوقًا في دراسته بشكلٍ واضح، ويبدو أن عقله المنظم والمرتب أتاح له أن يريح نفسه من عناء المذاكرة الشديد آخر الفصل الدراسي، واستصحب هذا الهدوء والترتيب في دراسته الجامعية في جامعة الملك سعود، وكذلك بعد تخرجه وعمله. وهذا الهدوء والصمت خلفه إتقان لكل ما يتناوله؛ وإذا تولّى أمرًا جاء به على أحسن ما يكون، وهو لا يحب الأضواء ولا يسعى إليها، ولا يتصدى للحديث ما لم يُطلب منه، كما أنه صاحب مروءات؛ لا يتأخر عن واجب، من زيارة مريض، أو تقديم واجب عزاء، ويضرب لنا الأمثال في ذلك.

وطاهر شخصية محبوبة من زملائه وجيرانه، وأسمعهم دائمًا يلهجون بذكره الطيب، ويحبون صحبته، ولا عجب: "فالمورد العذب كثير الزحام" كما قيل. تغيب عنه سنين طويلة

ثم تلقاه فإذا هو صاحبك الوفي، يحفظ لك الحسنات ويغض الطرف عن السيئات، وهو من ألمع نجوم دفعتنا الأولى في الثانوية العامة.



٧

الجارالنَّبيل







محمد مسفر

كنَّا جيرانًا في البيوت المطلة على سوق ظهران الجنوب، كما كنا زملاء دراسةٍ مُنذ المرحلة الابتدائية حتى تخرجنا من الثانوية، كنت أحب لقاء رفيق الصبا وخدين المكتب: محمد مسفر، ولكننا كنا نتشاكس أحيانًا بأطراف اللسان، ونفترق على خصام صامت، كشأن الأطفال، ولكن ما أن نغيب عن بعضنا حتى يعاودنا الحنين للقاء في اليوم التالي، همومنا كانت صغيرة، وقضايانا كذلك، وكذلك خلافاتنا، يمحوها الليل والمغيب فتعود الصفحة بيضاء، ناصعة، تماما كالقلوب، وكأن أحمد شوقي يصِفُ حالنا حين قال:

ألا حبَّــذا صــحبة المكتــبِ ... وأحبــب بأيامــه، أحبــبِ

ويــا حبــذا صــبية يمرحــون ... عنــان الحيــاة علــيهم صــبي

كــأنهمُ بَسَــمات الحيــاة ... وأنفــاس ريحانهــا الطيِّــبِ

خليُّــون مــن تبعــات الحيــاة ... عــلى الأم يلقونهــا، والأبِ

جنــون الحداثــة مــن حــولهم ... تضــيق بــه ســعة المــذهبِ

لله ما أجمل أيام الصبا، وما أعذب ذكرياتها.

كان والد محمد صديقًا لأبي، هو وأخوه أستاذنا محمد، رحمهم الله جميعًا، ورحم من مات من آبائنا وأمهاتنا.

وتخرَّجنا وحصلنا على الشهادة الثانوية فاتجه محمد إلى جامعة الملك سعود- فرع أبها ، واتجهتُ إلى جامعة الإمام- فرع أبها، ولم نلتَقِ إلا بعد سنينٍ طويلة، فقد زرتُ مدرسته في ظهران الجنوب (سعد بن أبي وقاص المتوسطة) فوجدتُ صاحبي كما عهدته، وقد زانه الوقار، مع شعراتٍ بيضٍ تتوارى خجلاً بين السواد الكثيف في جانبي الرأس، وقد احتفى بالزيارة كعادته في كرم النفس والطبع، وأهداني هديةً ما زلتُ أعدّها من أغلى مقتنياتي، وهي عبارة عن ملفَّين مُكتنزين بأوراق الامتحانات للمرحلتين الابتدائية والمتوسطة مع بعض الصور النادرة، وأعرف أنه قد أمضى هو وزملاؤه الكرام وقتًا طويلاً في استخراج هذين الملفين، فلهم كل الشكر والتقدير.

ومحمد من أنبل من عرفت وأكرمهم، وما يـزال يتعهـدني مُنذ التقينا بالاتصال والسؤال الدائم، وما ذلك إلا لكرم نفسـه وطيب معدنه، وحين يعلم عن حادثٍ أو مرضٍ عـرض لأحـدٍ من الـزملاء فـما يـزال يتصـل ويُنسِّـق في المواعيـد، حتـى يجتمـع الزملاء ويقوموا بالواجـب، كـل ذلـك يقـوم بـه دون ضـجيج، يكفيه في ذلك احتساب الأجر، وإرضاء الضمير الحيّ.



٨

المحامي الأنيق







محمد بن صالح منَّاع

مفتـاح شخصـيَّته: العصـامية، واعـتماده عـلى نفسـه منـذ الصغر، على حد قول الشاعر:

وإنَّـــما رجـــلُ الـــدُّنيا وواحِـــدُها

مـــن لا يُعـــوِّلُ في الـــدُّنيا عـــلى رَجُـــلِ[1]

نشأ ودرج في قريـة آل المـونس: تلـك القريـة الغافيـة عـلى ضـفاف الـوادي الخصيب، ولهـا في الـنفس ذكريـاتٌ لا تُنسـى، فهي مسكن زملاء الدراسة من آل مناع (محمد وصـالح) وعـلي أبـو حديـد، ومسـفر الصـماخ، وآخـرين، وأهلهـا أهـل نشـاطٍ ودأب، وزراعةٍ وفلاحة، وإليها تَشْرَئِبُّ الجبال المحيطة بغِبطةٍ ولهفة، وكم ضمت هذه القرية من قمـم، أصـحاب همـم، ومـن ألطف أهلهـا، وأحسـنهم أخلاقًـا الراحـل: صـالح منَّـاع، والـد حبيبنا محمد، رحمه الله.

---

(١) البيت للطغرائي في (لامية العجم).

أما محمد بن صـالح منَّـاع فهـو شخصـيةٌ فريـدة، تخـط لهـا طريقًا لا يشبه الآخرين، ولذلك نجح ثم تميز.

يقـول جـلال الـدين الرومـي في (المثنـوي): "إننـي مغـرم بالبحث عمن لا يوجد بسهولة، ولا يُعْثَرُ عليـه في الطرقـات"، قلتُ: فتّش هُنا عن أمثال محمد بن صالح منَّاع.

مُنذ الصِّغر عرفناه بعِفَّة المنطـق وأدبـه، وحُسـن التعامـل، وأصالة ابن القريـة ورجولتـه وكرامتـه التـي لا تقبـل المسـاومة، بـريء اللمحـات، صـاحب قَفَشـاتٍ لطيفـة، كـما امتـازت شخصـيته بالأناقـة الراقيـة في اللـبس والألفـاظ، لـه في القلـب محبَّة، لم تزدها الأيام إلا رسوخًا، ولا تَسَل عن تفسيرها: "أُفسّر ماذا؟ والهوى لا يُفسَّر" كما يقول (نزار)[1].

(١) وأوله: "أحبك لا تفسير عندي لصبوتي".

حالفـه التوفيـق في حياتـه؛ ولعـل ذلـك ببركـة دعـاء الوالدين، إذ كان بارًّا بهما، حتى صار مَضرِبَ المثل في ذلك، ومن كان هذا شأنُه، فقد أُحيطَ برعاية المولى وعنايته.

وإذا العنـــاية لاحظتـــك عيونُهـــا

نَـــمْ فالمخـــاوفُ كُلّهـــنَّ أمـــانُ

لا أدري لِمَ لَمْ يدرس في القسم الأدبي! رغم انتهائه إلى تخصُّصٍ هو أقرب للأدبي منه للعلمي! لعلهم الرفاق، أو لعلها: ثقافة وظروف المرحلة! أو- هُما معًا-.

بدأ نشاطه (التجاري) منذ المرحلة المتوسطة، حيث دخل نادي (المقاولون العرب) لا أقصد (المقاولون العرب) التي تنتمي لـ(عثمان أحمد عثمان) مقاول السد العالي، بل تولى صاحبنا مقاولة صغيرة، من الباطن، لعمارة الشيخ عبدالله آل زاهر بالرحيب في حكايةٍ طريفةٍ سمعتها منه ذات يوم.

تخرَّج حبيبنا محمد في جامعة الملك سعود (كليَّة الحقوق والعلوم السياسية) واليوم يمتلك مكتب محاماةٍ مرموق، اكتسب سُمعةً حسنةً بكياسة وخبرة صاحبه.



٩

وميض من سيرة علي معيض







علي معيض

كأن المعري عَنَاهُ بقوله عن أبيه:

فيــا لَيــتَ شِــعري هــل يَخِــفّ وَقــارُهُ

إذا صَــارَ أُحْــدٌ في القِيامَــةِ كــالعِهْنِ

وهــلْ يــرِدُ الحــوْضَ الــرّويَّ مُبــادِرًا

مــعَ النّــاسِ أمْ يــأبَى الزّحــامَ فَيَســتأني!

مفتـاح شخصـية حبيبنـا عـلي معـيض أبـو حديـد الوقـار والهـدوء، مـع عفَّـة اللسـان، وانتظـام الخطـوات، مُنـذ أن كُنَّـا طلابًـا؛ لـيس في حياتـه صـبواتٌ ونـزق، كـما هـو شـأن أكثـر الشباب، فمُعجمـه اللغـوي يخلـو مـن الشـتائم والسـباب، ولـو شئتَ أن تتوقع ما يفعله غدًا أو بعد شهر، لأمكنك ذلك على وجه التقريب، فهو يحب الترتيب دائمًا، ويكره (اللخبطة) التي لا ننفك عنها، فكأننا- بعض زملائي وأنا- نتمثَّل قول الشاعر:

ولذيـــذُ الحيـــاةِ، مـــا كـــان فـــوضى

لـــيس فيـــه مُســـيطرٌ، أو نظـــامُ

وحياتــه- حفظــه الله- عــامرةٌ بالتصــوّن في الســلوك، والمحافظـة عـلى الصـلوات، ومباينـة الصـبوات، وقـد ورد في الحديث ما نصُّه: «إنَّ اللهَ لَيَعجَبُ مِنَ الشابِّ ليست لـه صَبْوَةٌ» "أخرجـه الإمـام أحمـد في مسـنده" والصـبوة: النـزق، والميـل للهوى والمعاصي؛ فإن مرحلة الشباب مظنة هذه الصبوة.

ولا أذكر أن هذه الصورة الجميلة- مُنذ الصِّبا- تـوارت عن ذهني، وربما عن أذهان بقية الزملاء الكرام.

نشأ علي أبـو حديـد في بيـتٍ أصـيلٍ يحـافظ عـلى القـيم، ويتمسك بالشِّيَم والمبادئ، وهو مـن قريـة (آل المـؤنس) القريـة العريقة، العامرة بالأصالة، وقد أخذ الشهادة الثانويـة، ثـم اتجـه بعد ذلك إلى كليـة الملـك فهـد الأمنيـة، ومنهـا تخـرَّج ضـابطًا في قطاع حرس الحدود، وترقى في الرُّتـب العسـكرية حتـى تقاعـد برتبة عميد، وكان مثال الانضباط في العمـل، وتمـام الثقـة مـن مسـؤوليه، ومــازال- حفظــه الله- بحيويتــه ونشــاطه، مُبتســمًا

للحيـاة، رغـم ظروفهـا وتقلُّباتهـا عـلى حـد قـول أبي الحسـن التهامي:

طُبِعَــت عــلى كــدرٍ وأنــت تريــدُها

صــــفوًا مــــن الأقــــذاء، والأكــــدارِ

ومكلِّــــفُ الأيــــام ضــــد طِباعهــــا

متطلــــب في المــــاء جــــذوةَ نــــارِ



١٠

المُختلف







عبدالله بن علي القحطاني

دخل علينا الفصل ونحن في السنة الثالثة الثانوية فتىً مربوع القامة، قسَماتُه توحي بأنه عاش في بيئةٍ مُختلفة، تبادلنا نظرات التساؤل حينًا، وتحدَّثنا معه بتحفُّظٍ ظاهر، لم يعبأ كثيرًا بتساؤلاتنا! وحان موعد حصة الرياضة، فوجدنا صاحبنا قد سبقنا بالاستعداد باللبس الرياضي، ووجدناه ذا مهارةٍ عالية، وتحكُّمٍ نادرٍ بالكُرة، أمضى معنا عامًا دراسيًّا جميلاً، أظنُّه من أجمل سِنِّي العمر لنا، وله، بدليل أن ذلك العام هو الذكرى التي نَقتَاتُ منها جمال الرفقة إلى هذا اليوم.

كلما سألتُ نفسي عن مفتاح شخصية صاحبنا (عبدالله بن علي القحطاني) القادم من المنطقة الشرقية، والعائد إليها، وجدتُ أن الجواب يتلخَّص في: (الاستقلالية، وعدم التنميط) فهو لا يحبُّ الوقوف في الطوابير الطويلة، ويضيقُ ذرعًا بالقوالب، ويعجبه مخاتلة الحراس، وكان في الرياضة كذلك، يسجل أهدافه بطرائق مبتكرة.

ومثل هذه الشخصيات تبدو متعِبةً حين نحبُّ النظام والانضـباط، ولكنهـا نافعـة جـدًّا حـين نرغـب التجديـد والابتكار، والتفكير خارج الصندوق، فمن الطبيعي جدًّا لدى عبـدالله أن ينقـل مسـاحات الحـوار في أي قضـيةٍ إلى زاويـةٍ لم يلتفت لها أحد، كما ينقل الكرة إلى أحد زملائه في المساحات الواسعة غير المغطّاة، وربما تكون- وأنت تناقشه في قضيةٍ ما- مُتحمِّسًا، ومشبوبَ العاطفة تجاهها، فيفاجئك بتقييمٍ آخر، ورأيٍ آخر لم يخطر لك على بال، وربما يكون الصواب معه. ولأننا لم نعتَد إلا سماع صدى آرائنا والثناء على أفكارنا، فإننا نضيقُ ذرعًا بأمثال عبدالله و(طلعاته).

وطال الزمن مُنذ افترقنا، ثم لقيناه فوجدناه مازال يمارس لعبته (الجميلة) في طرح آرائه المختلفة، والاستمتاع بتكسير الخزف، والبلَّور (أحيانًا)؛ فعاد لنا الوهج، واستبدّ بنا الحنين لمرابع الصِّبا، ووجدناه قد اكتسى حُلَّة الوقار، وعضّ

على قارحة من الحكمة، فبدا لعيوننا أجمل مما كان، وبعضهم عَكَس القضية، على حد قول الشاعر:

عصـيتُ هـوى نفسي- صـغيرًا، وعنـدما

دهتنـــي الليـــالي بالمشـــيب وبـــالكبر

أطعــت الهــوى عكـسَ القضـية ليتنــي

خُلِقــتُ كبــيرًا، وانتقلــت إلى الصــغر



١١

المُستعصي على النسيان





صالح كُعْبان

لا أذكر شيئًا من المواقف معه في المرحلة المتوسطة التي درسها معنا في ظهران الجنوب، وتخرج فيها عام ١٣٩٨هـ، لكنني أذكر في المرحلة الثانوية ذلك الوافد الذي قدم إلينا من قرية (الغيل) وكان إذ ذاك في مُقتبل العمر، شابًّا يضج بالحياة، مُمتلئًا بالنشاط، يحبُّ الرياضة، وإن لم يكن من نجوم الشّبَاك آنذاك. ومرحلة الشباب- لدينا جميعًا- هي مرحلة التصابي، وهي شعبة من جنون الصبا وجماله. عرفته مهذّبًا، مؤدَّبًا، وأكاد أتذكر الزاوية اليُمنى في مقدمة فصلنا، حيث كان يفضّل الجلوس.

حصلنا على الشهادة الثانوية، وذهب كلٌّ منا إلى مدينة، وسلك دربًا لا يشبه غيره، وكان نصيب صالح أن اختار السلك العسكري، فدرس في كلية الملك فهد الأمنية، وتخرَّج برتبة ملازم، وواصل عمله بكل نجاح، حتى التقاعد.

وقد سمعت الثناء العاطر عليه من أناسٍ لا يعرفون ما بيننا من الإخاء والزمالة.

حين رأيته بعد زمنٍ طويلٍ من الفراق لم أعرفه للوهلة الأولى، فقد كنتُ أتصوَّره شيخاً حطيمًا، فإذا بي أراه قريبًا من الصورة التي تركته عليها قبيل التخرج من الثانوية، لولا الشعرات البيض التي زانته بحلية الوقار، وما زالت تلك الابتسامة الصادقة، التي تنشر الأنس مُرتسمة على مُحيَّاه المشرق، وما زال البيت الكريم والعائلة المرموقة التي ينتسب إليها حبيبنا، ماثِلةً بكل قِيَمِها، وكل المروءات التي يلمسها من سَعُدَ بقرب حبيبنا صالح.

وقد أخبرني مؤخَّرًا أنه اتخذ منزلاً في مكة المكرمة، وله رغبةٌ في مجاورة البيت العتيق، فنِعْمَت الرغبة، ونِعم الجوار.

وهنا جال في خاطري خبر العلامة جار الله الزمخشري (٥٣٨هـ)، وكان قد جاور مكة، وألَّف فيها تفسيره (الكشاف) وقال:

سـيري تمـاضر حيـث شـئت وحـدِّثي

إني إلى بطحـــاء مكـــة ســـائر

حتـــى أُنـــيخ وبـــين أطـــماري فتـــى
للكعبـــة البيـــت الحـــرام مجـــاور
يـــا مـــن يســـافر في الـــبلاد منقبًـــا
إني إلى البلـــــد الحـــــرام مســـــافر
إن هـــاجر الإنســـان عـــن أوطانـــه
فـــالله أولى مـــن إليـــه يهـــاجر
بفنـــاء بيـــت الله أضرب قُبَّتـــي
حتـــى يحـــل بي الضريـــح القـــابر
أُلقـــي العصـــا بـــين الحطـــيم وزمـــزم
لا يطبينـــي[1] إخـــوة وعشـــائر
ضـــيفًا لمـــولى لا يخـــل بضـــيفه
ويريـــه أقصي مـــا تمنـــي الزائـــر

أسأل الله أن يبارك لنا وله في الأعمار، وأن يرزقنا وإياه رزق الأبرار.

---

(١) يطبيني: يطلبني.

١٢

عفيف الجهر والهمس







مسفر بن سعيد الصماخ

هذا الرجل النبيل عرفتُه كسائر الزملاء حين قَدِم من قرية آل المونس، هادئ الطبع، خفيضُ الصوت، لم أسمعهُ مرَّةً واحدةً يسبُّ أو يشتم- معاذ الله- أو يصرخ، بل كان في كل أحواله أيقونةً للتهذيب والخُلق الجميل، كان يدرك كل ما حوله، ويستوعبه بعقله الرزين، وهدوئه الذي يُغبط عليه، هذه الصفة الجميلة التي كنتُ أتمناها لنفسي دائمًا، تجسَّدت في حبيبنا مسفر الصماخ، وليست هي المنقبة الوحيدة لمسفر، بل هناك مروءات وفضائل عُرفت عنه، من صلة ذي القربى، وتعهد الأحباب والأصحاب، إذ كان من أسرع الزملاء استجابة للقاءات، رغم ما كان يعانيه من وعكة صحية، تغلَّبَ عليها بمحبَّته لإخوانه ورغبته في مشاركتهم، وفوق ذلك وقبله وبعده: الخُلق الكريم الذي منحه الله إياه، فَوَسِع به كلَّ من عرفه، وقد صحَّ في الحديث الشريف: «أنا زعيمٌ ببيتٍ في أعلى

الجنَّة لمن حَسُنَ خُلُقه» (حديث صحيح) وفي الصحيح أيضًا: «إنَّ اللهَ ليُبَلِّغُ العبدَ بحسنِ خلقِهِ دَرَجَةَ الصَّوْمِ والصَّلاةِ».

وأختم هذه المقالة بأبياتٍ لأمير الشعراء أحمد شوقي ترجمها عن الفرنسية، أراها تنطبق تمامًا على حبيبنا أبي سعيد:

عَفيــفُ الجَهــرِ وَالهَمــسِ ... قَضى الواجِــبَ بِــالأَمسِ

وَلَمَ يَعــرِض لِــذي حَــقٍّ ... بِنُقصــانٍ، وَلا بَخــسِ

وَمــا نَــمَّ، وَلا هَــمَّ ... بِــبَعضِ الكَيــدِ وَالــدَسِّ

يَنــامُ اللَيــلَ مَسرورًا ... قَليــلَ الهَــمِّ وَالهَجــسِ

وَيُصــبِحُ لا غُبــارَ عَــلى ... سَريرَتِــهِ كَــما يُمسي



١٣

صالح الصَّالح



(أبو علي) صالح بن علي الوادعي

قَدِم من وادي الغيل إلى ثانويتنا في ظهران الجنوب فتىً ناحل الجسم، عليه من التديُّن وشاح، ومن النُّسك وقار، وكان مثله ظاهرة نادرة في تلك الأيام، خفيض الصوت، لا تكاد تسمع له نأمة، وكان يحيط نفسه بسياجٍ من الأدب والصمت، فلم يقتحم عالمه إلا القليلُ منا.

وكان والدي- رحمه الله- يُثني عليه وعلى سلوكه، رغم قلة الاحتكاك بينهما، عرفنا صالحًا متفوِّقًا في دراسته، ومن الأوائل، في دفعةٍ مليئةٍ بالنجوم، و(الدوافير) من ثانوية ظهران الجنوب، وتخرَّج في القسم العلمي.

وانقطع التواصل بيننا- وأنا هنا أتحدث عن نفسي- فلم أره إلا في اللقاء الأول لدفعتنا، وكان لقاءً عابقًا بالذكريات الجميلة، وسمعنا منه أنه طوّف وتنقل، حتى استقر به المقام هناك بالمنطقة الشرقية.

حبيبنا صالح: متحدِّثٌ بـارع، إذا شرع في حكايـة فالكـل آذان تُصغي، مع عذوبـةٍ في الحـديث لا تخطئها العـين والأذن، واستقامة في السلوك، واعتدال في التديُّن يُحتـذى، وقـد وجدتُـه يحفظ حكاياتٍ نسيناها أيـام الدراسـة، ويُعيـدها عـلى مسـامعنا غضَّة طريّة.

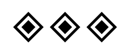
وفي مثله يصدُق قول الفزاري:

(حبيـــبٌ) حبـــاه الله بـــالخير مقـــبلاً

لـــه ســـيمياء لا تشـــقُّ عـــلى البَصَرْ

إذا قيلـــت العَـــوْراء أَغْضَى كأنـــه

ذليـــلٌ بـــلا ذلٍّ، ولـــو شـــاء لانْتَصَرْ



١٤

المحنَّك بالتَّجارب





محمد بن مسفر بن وازع

قَـدِم حبيبنـا محمـد بـن مسـفر مـن وادي الغيـل، في بدايـة المرحلة الثانوية.

والغيـل وادٍ مُبـارك، وفـد إلينـا منـه العديـد مـن الأخيـار الفضلاء.

وكـان صـاحبنا محمـد- إذ ذاك- نحيـل القـوام، هـادئ الطباع، يتوسَّط الفصل مكانًا- على ما أذكر-، فيه هدوء أهـل القرى وشهامتهم، وترفّعهم عـن الـدنايا، ولم يكُـن مـن نجـوم الرياضة الذين يلفتون الأنظار، بل كـان يُمضي- اليـوم الـدراسي ثم يمتطي السيارةَ عائدًا إلى وادي الغيل؛ لأن هناك من الأعبـاء العائلية ما ينتظره، وهكـذا كـان أهلُنـا في القـرى في كـل مكـان، ولعـل الاسـتثناء مـن ذلـك هـم سـكان المـدن، وغـالبهم مـن المشتغلين بالتجارة، أو الموظفين الحكوميين.

وتفرَّقنا بعد الثانوية، ولم أَلْقَ محمدًا إلا في الاجتماع الأول لهذه الدفعة المباركة من طلاب ثانوية ظهران الجنوب، لقيتُه وقد دار الزمان دورته، وحَنَى حنوته، فرأيت صاحبنا قد فارق ذلك القوام الرشيق، وسمعته يتحدث بطلاقةٍ وعذوبة، حين يروي الحكايات، بأسلوبٍ جذَّاب، جريء، وصوتٍ جهير، وطُرفةٍ حاضرة.

وعلمته قد شرَّقت به الحياة، وغرّبت- كحالنا جميعًا- وأكسبته الأيام حنكةً وحكمة، وخَبِر معارِضَ السيارات، ومن فيها، وما فيها.

جمعنا الله دائمًا على المحبة والطاعة، وأمتعنا بصحبة هذه الكوكبة الرائعة من رفقاء الصفاء، وخِلَّان الوفاء.

١٥

أيقونة الصَّفاء







مسفر بن شهوان الوادعي (أبو محمد)

أيقونة الصَّفاء، وطِيب القلب، عرفناه في مُقتبل العمر، كنا نراه دائمًا باسم الثغر، يكره الشجار، ويضيق ذرعًا بالنزاعات.

تنقَّل في الدراسة بين ظهران الجنوب والمعهد العلمي في نجران وغيرها، ولقي صعوباتٍ جمّة جرَّاء هذا التنقُّل، فلكل بيئةٍ ظروفها وناسها، وحبيبنا مسفر واجه ذلك كله، وهو في مُقتبل العمر بقلبٍ رابط الجأش، وخاطرٍ طيِّب، يهزأ بالصعاب، ويواجه الحقائق دون هروب.

حين لقيتُه بعد طول غيابٍ سمعتُه يذكر حكاياتٍ وذكرياتٍ مما شاهده ولاقاه، بأسلوبٍ فكِهٍ، جميلٍ، حَشْوُه الصِّدق والتلقائية، والبساطة العذبة.

وقد زادت الأيام صاحبنا مسفراً حكمةً ووقارًا.

وعلمناه من أوائل من يبادر بالمشاركة لإخوانه وزملائه في المناسبات، فرحًا، أو ترحًا. وفَّقه الله لكل خير.

١٦

القريب الوفي





سالم بن عبد ربه اليامي

في الصف الثالث الثانوي قدِم إلينا شـابٌّ طويـل القامـة، أسمر اللون، باسم الثغر، يحمل قلبًا مكتنـزًا بالطيـب والأنـس، ولم نلبث معه إلا وقتًا يسيرًا حتى كان واحداً منّـا، وكانـت بيننا أخوَّة دهر.

ورُغم أن الوقت الذي أمضيناه معه قصـير نسـبيًّا، إلا أن صـحبته الجميلـة، وأخلاقـه الكريمـة طـوَت المراحـل وقرَّبـت الأنفس.

حقًّا ما أجمل تلك الأيـام! حيـث كـان القلـب غـافلاً عـن الهموم، عازبًا عن الغموم، والشباب في قوَّته، والعُمر في أوَّله.

ورحم الله القائل:

يـــــا رعــــــاكِ الله يـــــا دار الصِّـــــــبا

كــــــان لي فيــــــكِ صــــــباباتٌ (وسَرْحُ)

لا تسَـــل عـــن حـــال أربـــاب الهُـــوى

يـــا ابـــن ودِّي مـــا لـــذاك الحـــال شَرْحُ

وحـين أمـرُّ (بظهـران الجنـوب) وأرى مرابـع الصِّـبا، ومدارج الطفولة وبواكير الشباب، تهزُّني الذكريات.

وللـذكريات هـزَّةٌ، كـما قـال أحمـد شـوقي في (جـارة الوادي):

ولكـــم عـــلى الـــذكرى لقلبـــي عـــبرةٌ

والـــذكريات صـــدى الســـنين الحـــاكي

لنـدع الـذكريات، ولنعُـد إلى حبيبنـا سـالم اليـامي، الـذي انقطعت أخباره عني، ولم أرهُ إلا في لقـاءٍ مُبـاركٍ في مدينـة أبهـا، وعلمنا منه أنه واصل تعليمه بعد إنهاء المرحلة الثانوية، وترقَّـى في المناصب العسكرية، حتى نال رتبة (لواء)، ثم تقاعد.

وسـعِدنا برؤيتـه، وطيـب حديثـه، بعـد تلـك السـنين الطويلة، وما زال الحديث العذب، والطُّرفة الجميلة حـاضرة في مجلسه.

أسأل الله أن يُمتِّعـه بالصـحة والعافيـة، وأن يجمعنـا دائـمًا على الخير والمحبَّة، إنه على كل شيءٍ قدير.



١٧

أيقونةُ الجِدِّ







سعد بن عوض آل مريّع

وفد إلى ظهران الجنوب مع أخيه علي بن عـوض في بدايـة دراستنا للمرحلة الثانوية، واتَّجه بعد الانتهاء من الصف الأول الثانوي إلى القسم العلمي، وكان من نجوم ذلك القسم، جدًّا واجتهادًا، وحرصًا على الوقت، وخاصَّةً أيام الامتحانات.

أمـا أصـحاب القسـم الأدبي- ولا أسـتثني أحـدًا- فـلا يطيب لهم السمر والنزهة إلا أيام الامتحانات، وما قبيلها.

وبعـد التخـرج والحصـول عـلى الشـهادة الثانويـة يمَّـم صاحبنا سـعد وجهـه تلقـاء جامعـة البـترول والمعـادن (سـابقًا) وتخرَّج فيها، وواصل عمله بتألُّقٍ ونجاح، حتى تقاعد مبكِّرًا.

وقد لقيته في باكورة اجتماعات الـزملاء فلـم يختلـف عـليّ شيءٌ من بشاشته، وصدقه الذي أعلمه.

وسمرتُ معه ليلةً من أجمل الليالي في الفندق الـذي نزلنـا فيه آنذاك. وفي لقاءٍ آخـر قريـبٍ سـعدتُ بمصـاحبته والحـديث معه لوقتٍ طويل، شنّف فيـه أذني بجميـل الشـعر، ودُرر النثـر، وطـوّف بي في التـاريخ والأنسـاب بـما يثـير الإعجـاب، فلديـه طاقـاتٌ علميـةٌ مخبـوءةٌ تحت ستار (الإهمـال) و(عـدم التفـرُّغ) وربما (البزنس!!).

ومن مناقبه الكثيرة: بذل النُّصح والاستشـارة لمـن يُحـبّ، ولـو كانت هذه النصيحة مملوكة لغيره، لكانـت تُشـترى بـالثمن الغالي.

دفعتنــا الأولى في الثانويــة مــن ظهــران الجنــوب تزخــر بالنجوم العوالي، والدُّرر الغوالي، ومـنهم: سـعد بـن عـوض آل مريّع. وفَّقه الله وسدَّد خُطاه.

١٨

المُهَذَّب





علي يحيى جابر آل فايع

عرفتُه منذ الصِّغر، فقد كان عمه- رحمه الله- مؤذِّنًا لجامع ظهران الجنوب، وكان جارًا لنا، وكذلك كان (عليٌّ) وأهله غير بعيدين عن بيتنا في ظهران الجنوب، وكان والدي- رحمه الله- إمامًا للجامع مدَّةً طويلة، فكُنَّا نرى عليًا وأباه- رحمه الله- دائمًا في المسجد، وكان والده (العم يحيى) بمثابة الأب للجميع، فضلاً، وتقديرًا، وهيبة.

كان (علي) هادئ الطبع، مُسالمًا، على خلاف الكثير من أقرانه، وكان- وما يزال- على خُلقٍ كريم، وشمائل فاضلة، قريبًا من أهله وأحبابه، لا تكاد تسمع منه كلمةً نابيةً، وخلف كل طفلٍ مُهذَّبٍ بيتٌ مُهذَّب، وهكذا كان (علي)- رعاه الله-.

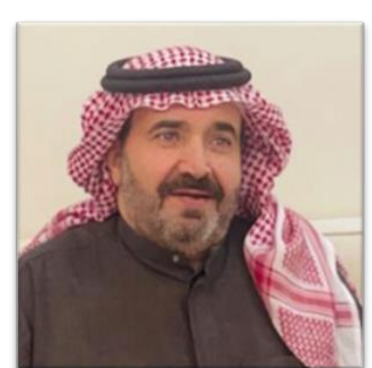
وحين حصلنا على الشهادة الثانوية، سلك كل واحدٍ منّا مسلكًا مُغايرًا للآخرين في المكان والاهتمام، وكلٌّ مُيسَّرٌ لما خُلِق له.

حين التقينا بحبيبنا (علي) بعد زمنٍ طويلٍ كان اللقاء جميلاً، وحميميًّا من قِبل الجميع، قلَّبنا فيه صفحات السنين، ولم تكُن الساعات التي قضيناها كافية لِبَثِّ الأشواق، ولكنها قطراتٌ تبلُّ بعض الظَّمأ، ثم توالت اللقاءات، وكلها تركت عَبَقَها العاطر، وصداها الجميل في النفوس.



١٩

ساقي العطاش





مرعي حسن أبو خلوة الوادعي

كان بيته مجاورًا لمدرستنا الابتدائية (عمـرو بـن العـاص)، وكثيرًا ما ملنا إلى ذلك البيـت الطيـب لنـروي عطشـنا مـن المـاء العـذب الـذي يجـود بـه أهلـه، ولسـان حالنـا: (اسـقِ العطـاش تكرُّمًا).

كان مرعي زميلاً عزيزًا وأخًا صادقًا، درس معنا المراحل الثلاث (الابتدائية والمتوسطة والثانوية).

ولم تمسك الذاكرة إلا مواقف الإخـاء والزمالـة ولحظـات الأُنس والصفاء، مع قلَّة الهموم.

وفي أيـام المرحلـة الثانويـة بـدأت معـالم التطـور تظهـر في ظهـران الجنـوب ابتـداءً مـن الحـدائق العامـة والمبـاني الحكوميـة والطرق المسفلتة في كـل مكـان، فكـان الـزملاء يلتقـون في هـذه الحـدائق المزدانـة بـالورود، خاصَّـةً في فصـليّ الربيـع والصـيف، وهي مناظر جديدة علينا حينذاك.

وبعد حصولنا على شهادة الثانوية العامة ودَّعنا ظهران الجنوب، كلٌّ إلى طريقه، وكان صاحبنا مرعي قد توجَّه تلقاء جامعة الملك سعود في الرياض (كليَّة الزراعة) ومعه أبو محمد (سعيد أبو سبل)، وفي تلك الكليَّة كانت لهما صولات وجولات:

وكـان مـا كـان، ممـا لسـت أذكـره
فظُـنَّ خـيرًا، ولا تسـأل عـن السـبب

وليس هناك شيءٌ يُخفَى إلا بعض المغامرات المتعلقة بالسكنى في الجامعة، وحضورٌ غائبٍ عن المحاضرات، ونحو ذلك من اللمم، والعهدة في هذه الحكاية على الراوي.

تخرَّج الحبيب مرعي، وباشر عمله في ظهران الجنوب.

وقد تعرَّض لوعكـةٍ صـحيَّةٍ قلَّلـت مـن نشـاطه المعهـود، ولعله- إن شاء الله- سيتجاوزها عما قريب.. متَّعه الله بالصِّحة والعافية.

٢٠

خَدِينُ الملعب والمكتب







حسين بن عمير بن صالح (أبو خلوة)

كان حسين من أصدقاء الصبا، وكان والده ممن يبعث البهجة في النفوس في مناسبات الفرح، ولا أتذكر من أخبار (حسين) إلا الخلق الجميل، والعشرة الطيبة، فقد كنا نلتقي أيام الدراسة في المرحلة الثانوية بشكل شبه يومي، ونلعب كرة القدم في الجزء الغربي من حي الرحيب، ولم نكن نسمع من (حسين) إلا الحديث الطيِّب، والترفُّع عن النزق، وحسن التصرُّف.

حتى إذا اقتربت الشمس من المغيب، رجع كلٌّ إلى بيته، فقد كُنَّا نسكن جميعًا في حي (الرحيب) حيث كان سكنه في غربي الرحيب وكنتُ في شرقيّه.

وتخرَّجنا وحصلنا على الشهادة الثانوية وذهبتُ لكليَّة الشريعة في أبها، واتَّجه هو لقسم التاريخ بجامعة الملك سعود فرع أبها.

ولم أَرَهُ بعد ذلك إلا العـام المـاضي، حيـث لقيتُـه مـع جمـعٍ من الزملاء في مناسبةٍ كريمة.

وجدتُـه مُحتفظًـا بهدوئـه ولُطفـه، وقـد مـرَّت عليـه وعكـةٌ صحيَّةٌ ما زال يُعاني آثارها حينذاك، ولعلّه اليوم أحسـنُ حـالاً، بإذن الله.



٢١

الحازم الصَّامت





حسن فرحان الوادعي

من قرية (آل المونس)، قدِم إلينا (حسن) حيث ينتمي لبيتٍ كريم، كان هدوء (حسن) وحياؤه، أمراً لافتًا لأنظار الجميع، فلم أسمعه رافعًا صوته، ولا مُحتدًّا، ولا صخَّابًا، بل كان قليل الكلام، كثير التهذيب، وافر المروءة، يطوي كتبه في نهاية اليوم الدراسي مُيَمِّمًا شطر قريته، فله من أعمال أهله ما ينتظره.

صامتٌ لو تكلّما (نطق الصدق مُعْلِما)
قل لمن عاب صمته خُلِق الحَزْمُ أبكما

تزاملنا في المرحلة المتوسطة والثانوية فلم نرَ منه إلا الجميل، ولم تُعرَف له صبوة، ولا حفظنا عليه هفوة، فقليلُ الكلام- دائما- قليلُ العِثَار.

وقد أنهينا دراسة المرحلة الثانوية، وتفرَّقت بنا السُّبل يمنَةً ويَسْرة، ولم ألتَقِ به حتى اليوم، ولكن أخباره لم تنقطع عني، وتكرَّم بالاتصال بي قبل مُدَّة، ووصلنا ما انقطع من الصِّلة، وبيننا مراسلات لم تنقطع.

فله أجمل التحايا، ونسأل الله أن يُمتِّعه وجميع الزملاء بوافر الصحَّة، وأن نلتقي دائمًا على الخير والمعروف.

٢٢

(أبو المُثَنَّى) الدكتور: عبدالرحمن أحمد الجرعي

بقلم الأستاذ: سعيد بن محمد أبو سبل

تكرَّم الأستاذ سعيد بـن محمـد أبـو سـبل بكلـماتٍ كريمـةٍ عن المؤلِّف تعكس طبع الوفـاء وحُسـن الإخـاء لديـه، فأشـكره جزيل الشُّكر، وأرجو أن أكون عند حُسن الظن.









(أبو المُثنَّى) الدكتور: عبدالرحمن أحمد الجرعي

هو ابن أستاذنا وشيخنا الجليل أحمد الجرعي- رحمة الله عليه-، أخ، وصديق، وزميلٌ عزيز، علينا جميعًا، فوالده له فضل على الجميع، حلّ بيننا في ظهران الجنوب كواحد من أهل ظهران منذ قدومه، مُدرسًا للدراسات الإسلامية، بعد طموح منه للوصول لما وصل إليه، حيث كان- الشيخ أحمد- جنديًّا في الأمن العام، وواصل دراسته مع زميله الشيخ الدكتور زاهر الألمعي- الشاعر المعروف- وحقق الله له ما أراد.

وأذكر أن الشيخ أحمد كان يتحدث للوالد- رحمهما الله- ذات يوم: فقال كنت أفرح عندما أعرف أن استلامي سيكون في الملعب، فكنت آخذ كتبي، وأراجع ما درسته أثناء عملي، والعالم مشغولون بالمباراة، وأنا أستغل الوقت فيما يفيدني. رحمك الله يا أبا عبدالرحمن.

وقد أصبح الشيخ أحمد: المدرس، وإمام المسجد، والمفتي لظهران الجنوب حينذاك.

وقد وهبنا الله شخصية ألمعيه من أقارب شيخنا، وهو فضيلة الشيخ عبدالله آل زاهر، قاضي ظهران الجنوب- حفظه الله ورعاه-، حيث كان رمزًا للعدالة والنزاهة بشهادة الجميع.

أما أبو المثنى، فيعجز اللسان عند وصف مناقبه، في العلم والأخلاق والأدب والوفاء والإخلاص، والجد والذكاء، فهو من نوابغ الأدب والعلم، ومهما قلنا فيه، فإن الحديث لا يوفيه...

ولكن هناك جوانب أخرى، وليسمح لي أخي (أبو المثنى) بسرد بعضها، فمن ذلك: أنه كان عندما يأتي إلينا في البيت؛ للمراجعة والدراسة، كان يضع كتبه، ويبدأ القراءة في المجلات، وكتب الشعر الموجودة في مكتبة الوالد- رحمه الله-، وأذكر منها: قافلة الزيت، الصادرة من شركة أرامكو، ومجلة

المصور، وغيرها من المجلات المصرية، وكذلك مجلات: اقرأ واليمامة وغيرها، حيث لم يكن يجدها في مكتبة والده الشيخ أحمد، وكان يقرأ هذه المجلات وغيرها بشغف، وكأن الاختبار عليه فيها غدًا، فحبه للاطلاع على كل جديد منذ صغره كان أمرًا واضحًا للعيان، ومع انشغاله بهذه المطالعات فقد حقق في الشهادة الثانوية الترتيب الأول على مستوى منطقة عسير عام ١٤٠١هـ.

وقد كان لي مع أبي المثنى علاقة أخوية وأسريه خاصة، فقد كان والدي- رحمة الله عليه- على صلة وثيقة بالشيخ أحمد، وكان حريصًا على تقوية صداقتي بعبدالرحمن، خاصة في فترة الدراسة المتوسطة والثانوية، إلا أن حب القسم الأدبي كان طاغيا على أبي المثنى.

وأكملنا المرحلة الثانوية، وفرقتنا مشاغل الدراسة وصوارف الحياة، حتى قابلته في اجتماعنا في أبها، بعد انقطاع استمر لسنين طويلة، فوجدته كما كان، لم يتغير كالذهب، الذي لا يصدأ، ولم تغيره السنون، إلا من بعض عوامل التعرية التي مرت علينا جميعاً، فله، ولكم، كل التقدير والاحترام، أيها الأوفياء المخلصون.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

مُقدِّمة.. ٥
(١) المُدير.. ١٣
علي مريّع.. ١٦
(٢) العُمدة.. ١٩
عوض خليل.. ٢٢
(٣) المَدَنيّ.. ٢٥
أحمد أبو عامر.. ٢٨
(٤) حامي العرين.. ٣٣
غازي عَرَوي.. ٣٦
(٥) زارع الورد.. ٣٩
سعيد محمد أبو سبل.. ٤٢
(٦) الهادئ النَّابه.. ٤٧

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

طاهر إبراهيم رشيد.. ٥٠

(٧) الجار النَّبيل.. ٥٣

محمد مسفر.. ٥٦

(٨) المُحامي الأنيق.. ٥٩

محمد بن صالح منَّاع.. ٦٢

(٩) وميض من سيرة علي معيض.. ٦٧

علي معيض.. ٧٠

(١٠) المُختلف.. ٧٣

عبدالله بن علي القحطاني.. ٧٦

(١١) المُستعصي على النِّسيان.. ٧٩

صالح كعبان.. ٨٢

(١٢) عفيف الجهر والهمس.. ٨٥

تـابع فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

مسفر بن سعيد الصماخ........................... ٨٨

(١٣) صالح الصَّالح................................ ٩١

(أبو علي) صالح بن علي الوادعي ٩٤

(١٤) المُحنَّك بالتَّجارب ٩٧

محمد بن مسفر بن وازع........................... ١٠٠

(١٥) أيقونة الصَّفاء................................. ١٠٣

مسفر بن شهوان الوادعي (أبو محمد) ١٠٦

(١٦) القريب الوفي ١٠٧

سالم بن عبد ربه اليامي............................ ١١٠

(١٧) أيقونةُ الجِدّ ١١٣

سعد بن عوض آل مريّع ١١٦

(١٨) المُهذَّب...................................... ١١٩

تابع فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

علي يحيى جابر آل فايع.............................. ١٢٢
(١٩) ساقي العِطاش................................ ١٢٥
مرعي حسن أبو خلوة الوادعي ١٢٨
(٢٠) خَدِينُ الملعب والمكتب........................ ١٣١
حسين بن عمير بن صالح (أبو خلوة)................ ١٣٤
(٢١) الحازم الصَّامت................................. ١٣٧
حسن فرحان الوادعي.................................. ١٤٠
(٢٢) كلماتٌ بقلم: أ. سعيد بن محمد أبو مسبل ١٤٣
أ.د عبدالرحمن بن أحمد الجرعي ١٤٦
فهرس الموضوعات ١٤٩





هذه تراجم موجزة لبعض زملائي في المرحلة الثانوية بمدينة ظهران الجنوب، ممن تواصلتُ معهم باللقاءات المباشرة أو الهاتفية، حيث قضينا في هذه الثانوية أيامًا جميلة، ولنا فيها ذكريات غالية.

وقد كانت دفعتنا هي الدفعة الأولى في ثانوية ظهران الجنوب، وذلك في الفترة من عام 1399هـ - 1401هـ.

وكانت التراجم في هذا المؤلَّف موجزة، ومُقتضبة، ولا توفي الزملاء الأعزاء حقهم في التنويه بما هم عليه من الفضائل والمناقب، ولكن (حسبُك من القِلادة ما أحاطَ بالعُنق) كما قيل ، ولعل في هذه الكلمات تنبيهٌ على ما وراءها من الصفات.